المشروع الجهادي لبايات بايلك الغرب في تحرير وهران
-الباي مصطفى بوشلاغم أنموذجا-

The Jihadist project of the beys of western beylik in the liberation of oran-bey Mustapha bouchlaghem as a model.

1– العيايدة أمنة فاطمة زهرة*، مخبر المخطوطات، جامعة أبو القاسم سعد الله–الجزائر2 (الجزائر).

aminafatimazahra.elaaeieida@univ-alger2.dz

2–بوحمشوش نعيمة، جامعة أبو القاسم سعد الله–الجزائر2(الجزائر)

naima.bouhamchouche@univ-alger2.dz.

تاريخ الاستلام: 2024/03/29 تاريخ القبول: 2024/04/28 تاريخ النشر2024/06/27

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على محطة مهمة من تاريخ وهران خلال الفترة الحديثة وإعطاء صورة واضحة ومتكاملة عن جهود بايات بايلك الغرب في تحريرها من الاحتلال الاسباني. واتخذنا في ذلك مشروع الباي مصطفى بوشلاغم كنموذج باعتباره حقق نجاحا كبيرا أدى إلى وحدة التراب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، في الوقت الذي فشلت فيه العديد من المحاولات خلال القرن 16و 17م.

وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه الباي مصطفى بوشلاغم إلاّ أنه يعتبر تحريرا مؤقتا اقتضت فيه الظروف أن تُحتل فيه وهران للمرة الثانية .

كلمات مفتاحية: بايلك الغرب، الاحتلال الإسباني، وهران، مصطفى بوشلاغم.

*- المؤلف المرسل

- **مقدمة**

عرفت العلاقات الدولية في غربي المتوسط بداية من القرن السادس عشر، تحولات سياسية هامة خاصة مع توسع الحركة الاستعمارية التي قادتها الدول الأوروبية وفي مقدمتها إسبانيا، حيث سعت جاهدة لتوجيه جهودها وحملاتها العسكرية نحو الجزائر واستطاعت بذلك احتلال العديد من المدن الساحلية. وعلى رأسها المرسى الكبير سنة 1505 ووهران سنة 1509م ولم يستطع حكام الجزائر تحريرها أو إخضاعها لحكمهم رغم وجود العديد من المحاولات خلال القرن 16 و17م. إلا أنَّ معظمها باءت بالفشل وحالت دون تحقيق الوحدة الترابية للبلاد. لكن مع مطلع القرن 18م تم تحرير وهران ولأول مرة سنة 1708م على يد الباي مصطفى بوشلاغم وسمي ذلك في الكتابات المحلية بالفتح الأول .

ومنه تتمحور إشكالية دراستنا حول الاستراتيجية المتبعة في مشروع الباي مصطفى بوشلاغم ومدى فعاليته في تحقيق الاستقلال التام لوهران من الاحتلال الاسباني.

تتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات جاءت على النحو التالي:

من هو الباي مصطفى بوشلاغم وكيف كان وضع البايلك في فترة حكمه؟

كيف يمكننا أن نقيم المحاولات التي سبقت التحرير الأول لوهران؟

ماهي المراحل التي مر بها التحرير الأول لوهران؟

الى أي مدى نجحت الاستراتيجية التي اتبعها الباي مصطفى بوشلاغم في مشروعه لتحرير وهران؟

هل كان استطاع الباي مصطفى بوشلاغم الحفاظ على وحدة التراب الجزائري بعد تحرير وهران 1708م أم كان تحريرا مؤقتا؟

ترتكز هذه الدراسة على إبراز دور بايات بايلك الغرب وعلى وجه الخصوص الباي مصطفى بوشلاغم وجهوده الكبيرة في تحقيق الوحدة الترابية للبلاد وذلك من خلال إعطاء صورة واضحة لاستراتيجيته العسكرية المعتمدة في مشروعه الجهادي. وتبعا لذلك اعتمدنا على المنهج التاريخي لتحليل الأحداث ودراسة ملابساتها فعكفنا أولا على رصدها وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا ووصفها، ثم قمنا بالتحليل اللازم والاستنتاج.

1. نبذة عن حياة الباي مصطفى بوشلاغم

1.1 مولده:

هو الباي مصطفى بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي جده يدعى محمد بن إسحاق المسراتي الذي بنى قصبة القلعة والمعروفة باسم قصبة المسارتية أو قصبة بني يوسف (قلعة بني راشد). أما أبوه يوسف المسراتي فكان في خدمة باشا الجزائر ونظرا لجهوده في سبيل استتباب الأمن كافأه الباشا باختيار أي مقاطعة من المقاطعات الثلاث حتى يعينه بايا عليها لكنه اختار أن يكون خليفة الباي في بايلك قسنطينة وبقي فيها مدة طويلة ثم انتقل بعدها الى بايلك الغرب واستقر بمستغانم ومنها انتقل الى قلعة بني راشد وبقي بها خليفة الى غاية وفاته مخلفا وراءه 8 أولاد وبنتا؛ كان أكبرهم مصطفى بوشلاغم[1]

2.1 تولية مصطفى بوشلاغم بايا على بايلك الغرب.

تولى حكم بايلك الغرب خلفا للباي شعبان الزناقي سنة1098هـ/ 1686م، تولى في البداية بايا على مازونة وتلمسان، ثم نقل مركز حكمه الى قلعة بني راشد ومنها الى معسكر[2]، وبعد تحرير الباي مصطفى بوشلاغم لوهران سنة 1708م نقل عاصمة البايلك إليها[3] إلى غاية احتلال الاسبان لها مرة ثانية سنة 1143هـ/ 1732م أين انتقل الى مستغانم واستقر بها وأصبحت مركز حكمه الى غاية وفاته سنة 1146هـ/ 1734م[4].

عرف بايلك الغرب في عهد الباي مصطفى بوشلاغم نوعا من الاستقرار السياسي خاصة بعد تحرير وهران لأول مرة من الاحتلال الاسباني وبالتالي أصبح البايلك في هذه الفترة قبلة للناس يتوافدون إليه مما أعاد له الحيوية خاصة بعد أن عمل الباي بوشلاغم على تجديد عمران المدينة[5]. ويذكر في هدا الصدد الزياني قائلا: "...فبنى الأقواس في البلانصية وكتب عليها إسمه وتاريخ البناء ونصه..."[6].

---

[1] بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990. ص ص 276، 277.

[2] بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 253.

[3] SANDOVAL. "Les inscriptions d'Oran et de Mers-EL-Kabir ". Revue Africaine. N 16. 1872. P 89.

[4] الزياني، المصدر السابق، ص 254.

[5] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 465.

[6] بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 254.

2. نظرة تقييمية لجهود الجزائريين في تحرير وهران خلال القرنين 16و17م:

أصبحت الجزائر قوة لا يستهان بها في حوض البحر الأبيض المتوسط بعد سلسلة طويلة من الإنجازات التي حققتها على المستوى الداخلي والخارجي على حد سواء، لكن بقيت وهران محل صراع طويل بين الجزائر واسبانيا بذل فيه الجزائريون كل ما لديهم لاسترجاعها منذ احتلالها وسنركز في هذا العنصر على أولى تلك المحاولات خلال القرنين 16 و17م وهي كالاتي:

1.2 محاولة حسن بن خير الدين:

بعد أن عيّن حسن بن خير الدين بايلربايا على الجزائر في الاربعينيات من القرن 16 حاول أن يحرر وهران من الاحتلال الاسباني، ولكن دسائس السفير الفرنسي حالت دون تحقيق ذلك فأزاحته الدولة العثمانية عن الحكم، لكنه سنة 1557م أُعيد تعيينه في منصبه مرة أخرى. وحاول بدوره تجهيز حملة برية وبحرية توجه بها للناحية الغربية لمواجهة مؤامرات الاسبان والسعديين حيث كانت خطته هذه المرة أكثر نجاعة استطاع من خلالها الاستيلاء على الأسطول الإسباني في خليج ارزيو واعترضت قواته البرية القوات السعدية التي كانت تحاول الزحف لحصاره. رغم ذلك تعتبر محاولة فاشلة في تحرير وهران. غير أنه كرر العملية سنة 1563م وتوجه إلى وهران على رأس قوة متكونة من 15ألف رجل من الرماة وألف من الفرسان، وعزَّزهم بألف رجل من أمير قلعة بني العباس[1] .

تمكن الجزائريون في بداية المعركة من استرجاع حصن القديسين بالقرب من وهران، لينتقلوا بعدها الى الهجوم على حصن المرسى الكبير واستطاعوا تهديم تحصيناته مما اضطر الحامية الاسبانية إلى إخلائه في 7 ماي 1563م. بعد هذا الانتصار وجهوا هجومهم الى حصن المرسى الكبير تزامنا مع وصول النجدات الاسبانية الى وهران بقيادة الدون فرانسيسكو موندوز. جرت المعركة بين الطرفين أثرت على الجانب الجزائري بالسلب والايجاب من خلال:

أ.إيجابيا:

-استطاعت المدفعية الجزائرية من إحداث ثغرات في الحصن.

-تمكنت طلائع الجيش الجزائري بعد اشتباكات دامت لعدة أيام من رفع علمين على برج الجنوبين في 22 ماي.

[1] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص ص 43، 44، 45,

ب.سلبيا:

-ارتفاع عدد الإصابات في صفوف الفرق الجزائرية ويقدر عدد القتلى بما لا يقل عن 500 شخص منهم قائد فرقة زواوة أحمد بن القاضي.

-وصول أسطول ضخم من اسبانيا مؤلف من 55 سفينة تحمل المدد والرجال للمرسى الكبير يوم 8 جوان مما اضطر بالجيش الجزائري الى رفع الحصار والتخلي عن محاولة اقتحام الحصن، وتوجيه جهوده بعد ذلك لمساعدة الأساطيل العثمانية لحصار مالطة سنة 1565[1].

2.2 محاولة صالح رايس وحسن قورصو:

بعد الانتصار الذي حققه صالح رايس في استرجاع بجاية من الإسبان وجَّه أنظاره إلى بايلك الغرب لاسترجاع وهران والمرسى الكبير، لكن ما إن انتهى من تحضيرات الحملة حتى وافته المنية سنة 1556م ليواصل خليفته حسن قورصو المهمة[2] بالزحف برا وبحرا ووصل الى عين الترك. وفي أوت 1556 تمكنت المدفعية العثمانية من الوصول الى رأس العيون قرب وهران وبدأ الحصار عليها واستطاع الاستيلاء على حصن القديس. تزامنت الأحداث مع حملة اندري دوريا على سواحل الدولة العثمانية فجاءته دعوة من السلطان العثماني برفع الحصار والالتحاق بالأسطول العثماني في الشرق مما استدعى الانسحاب وبالتالي فشلت الحملة في تحقيق أهدافها لتحرير وهران مما زاد من ثقة الاسبان أكثر في الاحتفاظ بها[3] .

3.2 محاولات القرن السابع عشر ميلادي:

تجدر بنا الإشارة بداية إلى أن المحاولات التي تلت المحاولتين السابقيتين كانت عبارة عن عمليات عسكرية محدودة حيث لم تحقق نتائج ملموسة ومنها:

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي في الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2003، ص 155.

[2] محمد مختار زغار، "صالح رايس بطل الوحدة والجهاد 1552-1556"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 2، العدد 4، جويلية، 2020، ص ص 99، 100.

[3] بوبكر محمد السعيد، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري/ السادس عشر ميلادي(1119-1206هـ/1708-1792م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، المركز الجامعي، غرداية، 2011/2010م، ص ص 67، 68.

-مهاجمة مصطفى كوسة: ظل الإسبان يحافظون على مواقعهم في وهران والمرسى الكبير ولم يتعرض لهم الجزائريين بشكل مباشر منذ حصار حسن بن خير الدين سنة 1563م، إلى غاية حملة مصطفى كوسة سنة 1606م، حيث سار إليها على رأس 120 فارسا و480 من المشاة وتكبد خسائر كبيرة ضاع فيها حوالي ثلاثة أرباع الحملة وبالتالي الأخرى فشلت بسبب تشتت جيشه من جهة وسرعة القائد الإسباني في المواجهة بحيث لم يسمح لتجمع الأهالي الذين وجهت لهم الدعوة للمشاركة في الحرب ضد الإسبان[1].

-مهاجمة فرق اليولداش للقوات الاسبانية بأحواز مدينة وهران ونواحي الهبرا على عهد حسين باشا 1622.

-محاصرة وهران والمرسى الكبير على عهد على باشا 1665-1671.

-مهاجمة وهران وقتل حاكمها دوتيبا في إحدى الإشتباكات مع اليولداش ورجال قلعة بني راشد على عهد الحاج محمد التريكي 1681م[2].

-محاولة الباي شعبان الزناقي والباي إبراهيم خوجة سنة 1686-1687: جهز الباي شعبان جيشه المتكوّن من 3 آلاف فارس وألف رجل من المشاة للهجوم على مدينة وهران. حيث جرت المعركة بين الطرفين واستطاع الجزائريون الانتصار في بادئ الأمر[3]، إلا أنه سرعان ما اختلَّت موازين القوى وذلك بعد مقتل الباي شعبان الزناقي من قبل عرب بني عامر المتواطئين مع الإسبان، وبالتالي أثرت وفاته على الجنود وانسحبوا. وفي السنة الموالية (1687)، جهز خلفه إبراهيم خوجة حملة أخرى وحاصر وهران لكن الداي أمره برفع الحصار والالتحاق بالجزائر العاصمة لمواجهة حملة الماريشال دوستري الفرنسي، فامتثل للأوامر وانسحب[4].

4.2 تحليل أسباب فشل محاولات التحرير:

رغم المحاولات المتكررة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، والخسائر المادية والبشرية التي تكبدتها الجزائر إلا انهم لم ينجحوا في تحرير وهران، فكانوا في الكثير من الأحيان يصل الجيش والمتطوعون إلى اسوار المدينة ويستطيعون الاستيلاء على أحد أبراجها لكنهم يفشلون في الأخير، وتجدر بنا الإشارة أيضا الى نجاحهم في فرض حصار شديد ولأيام طويلة عليها برا وبحرا ويمنعون من دخول أية

[1] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومه، الجزائر، 2012، ص ص 110، 111.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ص 156.

[3] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 21.

[4] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 53.

إمدادات أو مؤونة لهم غير أن كل ذلك لم يجد نفعا[1] وذلك نظرا للعديد من الأسباب الداخلية والخارجية حالت دون تحريرها، واستنادا لما ذكرناه في العناصر السابقة يمكن أن نلخص هذه الاسباب فيما يلي:

داخليا:

-طبيعة التحصينات القوية الموجودة في وهران سواء تلك التي بناها الزيانيون أو تلك الأسوار والأبراج التي شيدها الاسبان ونذكر منها: البرج الأحمر، برج المرسى، مرجاجو، رأس العين[2].

-استغلال الاسبان للعديد من القبائل في الغرب الجزائري التي كانت معارضة للحكم العثماني بالجزائر حيث عملت على استمالتهم بشتى الطرق والأساليب لمساندتهم خاصة في افشال عمليات تحرير وهران. وبالفعل اعتبرت بعض القبائل كعنصر فاعل وأساسي في ذلك ونذكر على سبيل المثال: قبائل بني عامر التي قتلت الباي شعبان أثناء حملته على وهران.

خارجيا :

-توتر العلاقات الجزائرية الأوروبية في مقدمتها فرنسا التي واصلت اعتداءاتها على الجزائر مخلفة في ذلك أضرار على الأوضاع الداخلية بالجزائر. إلى جانب ذلك ظهرت أطماع أوروبية أخرى مع إسبانيا وفرنسا تمثلت في مهاجمة الإنجليز للجزائر عام 1669م والاعتداء على مراكبها في عرض البحر[3].

- الصراع القائم بين الجزائريين والسلاطين السعديين، الأمر الذي اتخذه الإسبان لصالحهم وذلك باستمالتهم والتآمر معهم ضد الجزائر. وبالتالي صعّب ذلك من مهمة نجاح محاولات التحرير مثلما حصل مع حسن بن خير الدين سنة 1563م. كل هذه الظروف الخارجية مجتمعة عادت على الجزائر بالسلب خاصة من ناحية تشتت قواها العسكرية على عدة جبهات وبالتالي فشلت كل المحاولات في سبيل تحرير وهران خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.

[1] محمد غالم، "تحرير وهران في 27 فيفري 1792: الرمز والحدث"، مجلة انسانيات، المجلد 22، العدد 79، جانفي 2018، ص 13.

[2] بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص 233.

[3] الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص ص 43، 44.

3. دور الباي مصطفى بوشلاغم في التحرير الأول لوهران 1708م:

بعد الإخفاقات التي طالت محاولات تحرير وهران من الإحتلال الإسباني خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، واصل الدايات وبايات الغرب الجزائري جهودهم في سبيل تحقيق ذلك. وفي سنة 1686م تولى الباي مصطفى بوشلاغم حكم بايلك الغرب أين أولى هذا الأخير أهمية بالغة لمسألة تحرير وهران والمرسى الكبير وذلك بإيعاز من الداي محمد بكداش واستطاع ولأول مرة تحقيق ذلك، ومنه يتبادر إلى الأذهان سؤال عن الأسباب والظروف الحقيقية وراء نجاح محاولة الباي مصطفى بوشلاغم دون غيرها من المحاولات السابقة.

1.3 الظروف والعوامل المساعدة على تحرير وهران الأول:

اجتمعت جملة من الأسباب دفعت الى هذا الانتصار سنلخصها في العناصر التالية:

-**ثورة اليولداش سنة 1707م**: عجز الداي حسن خوجة على دفع مرتبات الجيش الإنكشاري بسبب ضعف الميزانية وقام بإبعاد كل من يعارض ذلك، الأمر الذي أدى بالإنكشارية إلى إعلان الثورة ضده واستطاعوا عزله وتنصيب الداي محمد بكداش بدلا عنه. تزامن ذلك مع طلب الباي مصطفى بوشلاغم الدعم من الداي السابق حسن خوجة ولم يستجب له، لكن الداي محمد بكداش رآها فرصة سانحة للتخلص من تأثير الإنكشارية وذلك بإرسالهم في حملة تحرير وهران[1]. وبالتالي كانت تولية محمد بكداش دايا على الجزائر سببا أساسيا في تمكين الباي مصطفى من المدد العسكري الكافي للتحرير.

-**الحرب الأوروبية على العرش الاسباني**: عرفت أوروبا خلال القرن السابع عشر ميلادي أوضاعا سياسية غير مستقرة كان المتضرر الأساسي منها هو اسبانيا حيث شهدت ما يعرف ب حرب الوراثة الاسبانية والتي امتدت على مدى سنوات طويلة من 1668م الى غاية 1713م. ففي الوقت الذي أصيب فيه الملك الاسباني شارل الثاني بمرض عضال، اعتقد الجميع أن نهايته أصبحت قريبة لا محال. الامر الذي شكّل خلافا سياسيا حول وريث العرش بين لويس الرابع عشر الفرنسي وليوبولد امبراطور المانيا (كان كل منهما ابنا لأميرة اسبانية ومتزوجا من أميرة اسبانية). تدخلت في هذا الصراع أيضا كل من هولندا وانجلترا[2]، نتج عن ذلك حروب امتدت قرابة 49 سنة. هذه الأوضاع أضعفت اسبانيا بشكل كبير وتزامن ذلك مع حملة الباي مصطفى بوشلاغم مما سهل وساهم في تحرير وهران سنة 1708.

[1] محمد السعيد بوبكر، المرجع السابق، ص ص83، 84.

[2] برون جفري، تاريخ أوروبا الحديث، تر: على المرزوقي، دار الأهلية، الأردن، 2006، ص 294.

-**استقرار العلاقات مع المغرب الأقصى**: في إطار الصراع الدائم بين الجزائر والمغرب الأقصى والذي استغلته إسبانيا لصالحها واستطاعت بفضله في كثير من الأحيان إضعاف قوة الجزائر وتشتيتها لإفشال محاولات تحرير وهران. غير أن الجدير بالذكر هو استقرار الأوضاع بين الطرفين في فترة حكم الباي مصطفى بوشلاغم لبايلك الغرب، حيث جاء ذلك بعد العديد من الهزائم المتكررة للمولى إسماعيل العلوي وكان آخرها سنة 1707م، حين قاد حملة على وهران لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها فتوجه جنوبي مرسى أرزيو ليتصدى له الباي بوشلاغم ويهزمه في مكان يسمى "زبوجة الغرب". على إثر ذلك لم يجرؤ المولى إسماعيل على مهاجمة الجزائر مرة أخرى طيلة فترة حكمه[1]. وبالتالي يمكننا اعتبارها نقطة إيجابية ساهمت في تفرُّغ الباي مصطفى بوشلاغم لمشروعه في تحرير وهران، خاصة وأن المحاولات السابقة كما لاحظنا كان من أهم عوامل فشلها هو توتر العلاقات بين البلدين.

2.3 الاستراتيجية العسكرية للباي بوشلاغم في تحرير وهران:

خرج الباي مصطفى بوشلاغم سنة 1704م بجيش كبير، من مدينة معسكر باتجاه وهران لمحاصرتها وقام الحاكم الإسباني بالمدينة بإجراء تعزيزات الدفاع لمقاومة الباي ولكن في سنة 1705م أصبح الحصار فعالا، وازدادت حدتُه في السنة الموالية، وخلال تلك الظروف قام حسين خوجة داي الجزائر، بإنزال جيوشه على المدينة، وسعى جاهدا إلى تقديم التعزيزات لتحرير وهران غير أنه اُستبدل بالباي محمد بكداش سنة 1707م[2] الذي أرسل هو الآخر جيوشا بقيادة صهره أوزن حسن، وكانت الإمدادات -حسب ما ذكره مسلم الوهراني-من مرسى أرزيو[3].

بعد وصول القوات الجزائرية إلى مدينة وهران يوم 14 جوان 1707م، أسندت القيادة العامة لحسن أوزن وكانت قيادة العمليات في البر على عاتق الباي مصطفى بوشلاغم بحكم أنه على دراية تامة

[1] جلول مكي، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 الى 1263هـ/ 1234-1847م، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993، ص ص 117، 118.

[2] كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014/2013، ص 136.

[3] مسلم بن عبد القادر الوهراني، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية، 1974، ص 15.

بخبايا المنطقة ومعرفته لكيفية تحرك القوات الاسبانية والقبائل المتحالفة معها خاصة وأنه بدأ حصاره للإسبان منذ 1704م[1] (الطاهر، 2019/2018، صفحة 521). وقد مر هذا الحصار بمراحل أساسية:

1.2.3 المرحل الأولى: (ركز الباي على التقليل من نشاط القوات الاسبانية والحد من تحركات القبائل المتحالفة معها):

فالشاهد من الامر أن حكام وهران والمرسى الكبير لجؤا الى تشكيل أحلاف مع القبائل القاطنة بنواحي وهران قصد تكوين قوة عسكرية قادرة على مواجهة قوات باي الغرب بمازونة أو معسكر، وقد وجدوا من شيوخ بني عامر، غيزة وأولاد عبد الله، أولاد علي القبيل وشافع وغيرهم، مساعدات كالحبوب والمواشي وإعانات مالية في شكل ضريبة سنوية، كما عملت على شن حملات على المناطق الوهرانية وفي حالة انهزام القوات الإسبانية تكون هذه القبائل الدرع الحامي. فاستطاع الاسبان بذلك تعزيز موقعهم بالبايلك[2].

بعد أن تولى الباي مصطفى بوشلاغم حكم بايلك الغرب سنة 1686م، كان يدرك أن عليه الحد من سلطة هذه القبائل حتى يتمكن من تحرير وهران والمرسى الكبير. فمن أولى أعماله قيامه بتغيير مقر عاصمة البايلك من مازونة إلى معسكر وذلك حتى يكون قريبا من وهران، ووضع المناطق الجنوبية تحت مراقبته، كما اتخذ موقعا مناسبا يساعده على شن العمليات الحربية ضد كافة الأطراف. وتمكن من اخضاع قبيلة بني عامر والقبائل المجاورة لحكمه، وبهذا الشكل يكون قد شدد الحصار على وهران وحرم الإسبان من الإمدادات الضرورية لهم[3].

2.2.3 المرحلة الثانية: تحرير الابراج

امتازت بتشديد الحصار بعد مساعدات الداي محمد بكداش سنة 1707م من خلال تحرير الأبراج ويذكر مؤلف كتاب الثغر الجماني عن محمد بن سحنون قائلا: "**ضيقنا على الكفرة في بعض أبراجهم**

[1] الطاهر تومي، علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع اسبانيا مابين 1520-1792، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019/2018، ص 521.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 158.

[3] عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص 458.

حتى صرحوا لنا بالطاعة"[1]. حيث قام الداي بإعطاء الأوامر لهدم مجاز الماء الذي يأتي إلى وهران من الخارج ثم دخلوا برج العيون وبدأت المعركة بين الطرفين تكبد فيها الاسبان خسائر كبيرة، واستطاع الجزائريون تحقيق الانتصار في سبتمبر 1707م[2].

واصلت بعد ذلك القوات الجزائرية مواصلة السيطرة على الأبراج فحاصروا برج مرجاجو وحفروا له خندقا وبدأو الهجوم وبعد 3 أيام من القتال أعلن الإسبان تسليم البرج في 28 سبتمبر 1707م. توجهوا بعد ذلك إلى مهاجمة برج ابن زهو ولاقى الجزائريون مقاومة عنيفة من الإسبان فلم يتمكنوا من دخوله على إثر ذلك طلب حسن أوزن من الباي بوشلاغم حفر مفارز وصنع مصاعد من الحطب لتسلق البرج واستطاعوا قطع المدد عنه من جهة البحر إلا أنهم لم ينجحوا في تحريره إلا بعد تلغيم البرج ل 3 مرات، فانفجر البرج واستطاع الجزائريون السيطرة عليه في 6 نوفمبر 1707م [3].

استمر الجيش الجزائري في انتصاراته بفتح الأبراج فاستولوا على البرج الجديد (الصبايحية) ثم البرج الأحمر وذلك رغم مقاومة الاسبان لهم. وبعد أن تاكدوا من استحالة الدفاع طلبوا الأمان وهذا ما يؤكده ابن ميمون الجزائري قائلا:"**ولما بصروا بفتح المدينة ...رأوا أن الهلاك يفضي إليهم، لكنهم أضهروا التجلد فحاربوا يوم الفتح من المساء الى الصباح ثم مكثوا هنينة من الزمن وطلبوا الأمان من الموت، وخرج النصارى وصاروا أسرى نحو خمسمائة وستين..."**[4].

3.3.3 المرحلة الثالثة: تحرير وهران والمرسى الكبير.

توالت بذلك الانتصارات مما أثر بالسلب على قوة الجيش الإسباني الذي أصبح عاجزا تماما عن الدفاع عن الأبراج والحصون التي تم تحريرها من قبل جيش الباي مصطفى بوشلاغم، حيث فر الحاكم العام لوهران الدون ملشوردي أفيلاندا بعد أن تاكد من أن خسارة وهران باتت أمرا حتميا لا محال فغادر عن طريق البحر إلى المرسى الكبير ومن هناك إلى اسبانيا[5].

---

[1] ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 199.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 457، 458.

[3] تومي الطاهر، المرجع السابق، ص ص 215، 216، 217.

[4] محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 238.

[5] Sandoval, Op cit, P 66.

وبعد معارك كبيرة بين الطرفين تم تحرير وهران كليا في 20جانفي 1708م ولم يبق إلا المرسى الكبير الذي تم تحريره هو الآخر بعد أربعة أشهر وذلك يوم 24 ذي الحجة 1120هـ/10 أفريل 1708م[1]. ويذكر الجامعي في هذا الصدد قائلا :

الحمد لله الذي قد فتحا وهران على ايدي الرجال الصلحا

فتحت سنة تسعة عشر ومائة من بعد ألف تعتبر

في سادس العشرين من شوال صبيحة الجمعة خذ مقال

ويضيف في فتح المرسى الكبير مايلي:

وانتقلوا من بعدها للمرسى فأصبح الجيش عليها مرسى

واستبدت الحرب عليها واحتموا بالبحر والطول الذي فيه رسوا

وفتحت من بعد وعنا ورمى مرعدات على ذي اعثا[2].

4. تقييم لعملية تحرير وهران 1708:

كان هذا الإنجاز إيذانا بطرد المحتل الإسباني نهائيا من الجزائر وتحقيق الوحدة الترابية للبلاد لأول مرة منذ انضمام الجزائر للدولة العثمانية سنة 1519م.

نقل الباي مصطفى بوشلاغم -بعد هذا الانتصار-عاصمة البايلك من معسكر إلى وهران بعد تحريرها وشرع في تجديد عمران المدينة وإعادة الطابع العربي الإسلامي لها، ومن ضمن هذه المؤسسات العمرانية: الحمام والروضة، القبة، الأقواس في حي الساحة الإسبانية والعين الجارية المشرفة على حي البحرية. ومن جهة أخرى يمكننا الإشارة الى الدور الذي قام به الباي بوشلاغم في التخلص من القبائل المتعاونة مع

[1] تومي الطاهر، المرجع السابق، ص ص 218، 219.

[2] الجامعي، فتح مدينة وهران، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز العامة الرقمية بالرياض، رقم 4282. (نسخة منشورة الكترونيا)، ص ص 208، 209.

الاسبان وذلك من خلال معاقبتها حيث أمر بإبعاد قبائل بني عامر الى جبال تسالة ومنح أراضيها القريبة من وهران الى الدوايـر وعبيد المغرب[1].

وإذا ما تحدثنا عن الخسائر التي تكبدها الاسبان فإنها هي الأخرى من بين النتائج الإيجابية التي تدل على قوة الجيش الجزائري فنقلا عن الباحث طاهر التومي فقد قدرها ب 1230 أسير موزعة على الشكل التالي:

-برج العيون 540 أسير.

-برج مرجاجو 120 أسير منهم 3 نسوة

-البرج الجديد 400أسير

-البرج الأحمر 160 أسير[2].

لم يتقبل الإسبان من جهتهم وقع الهزيمة بل بقي اصرارهم على استرجاع وهران والمرسى الكبير قائما باعتبارهما مركزا للبابوية المسيحية بشمال لإفريقيا ومن أجل ذلك توجه أسطول إسباني من ميناء أليكانت بقيادة الكونت دومونتومار في 25 جوان 1732م، باستعدادات ضخمة تصل فيها عدد سفن الاسطول الى 525 سفينة، تحمل 720 مدفعا، 56 ألف قنبلة يدوية، 80693 قذائف فضائية، تجهيز 12427 قنطار من البارود، الضباط المشاركون في الحملة 30 ألأف رجل...[3]. وبالمقابل من ذلك جهز الباي مصطفى بوشلاغم جيشه لمواجهة الحملة الاسبانية وبعد مقاومة شديدة يتضح من خلالها عدم التكافؤ

[1] walsin, Esterhazy, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, librairie de Charles Gosslin, Paris, 1840, P 172.

[2] تومي الطاهر، المرجع السابق، ص 220. لتفاصيل أكثر حول الحصون ينظر الى: محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 213-261. وأيضا:

HENRI-LÉON FEY. Histoire d'Oran, avant, pendant et Après la domination espagnole. Typographie adolphe perrier. Oran. 1858. P 128-136.

[3] Berbrugger, "Reprise d'Oran par les espagnols en 1732". Revue Africaine, N8, 1864, PP 22, 23.

بين الطرفين في القوى مما ساهم في تقدم الجيوش الاسبانية في ظل غياب الدعم، حيث طلب الباي يد العون من قبائل بني عامر لكنها لم تلبي ذلك معلنة بذلك ولائها مرة أخرى للإسبان[1].

تمكن الإسبان دخول مدينة وهران في بداية شهر جويلية 1732م ويصفه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أنه انتصار سهل للإسبان لم يكلفهم سوى 30 قتيلا و100 جريحا شجعهم ذلك على تعزيز دفاعاتهم حول وهران وتحصين المرسى الكبير ونصب المدافع عليه وبالتالي سهل عليهم الامر فيما بعد على التصدي للمحاولات المتكررة للباي مصطفى بوشلاغم في استرجاع المدينة طيلة سنتي 1733م و1734م[2].

الخاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية توصلنا الى جملة من الاستنتاجات نلخصها فيما يلي:

يعتبر الباي مصطفى بوشلاغم من بين الشخصيات المهمة التي حكمت بايلك الغرب الجزائري. حيث شهدت فترة حكمه استقرارا سياسيا من خلال جهوده في سبيل تحرير وهران 1708م.

أصبحت وهران منذ احتلالها من قبل الإسبان محل اهتمام الجزائريين مما دفعهم للقيام بالعديد من المحاولات لتحريرها خلال القرنين 16 و17م باءت كلها بالفشل نظرا لجملة من الأسباب الداخلية والخارجية حالت دون تحقيق أهدافها. بل وزادت من إصرار الإسبان على الاحتفاظ بوهران والمرسى الكبير.

لقد نجح الباي مصطفى بوشلاغم في تحرير وهران سنة 1708م وذلك بفضل استراتيجيته واستغلاله للوقت المناسب خاصة وأن اسبانيا كانت تعاني من عدم استقرار الأوضاع نتيجة لحرب الوراثة وما خلفته من صراعات بين ملوك أوروبا كانت في صالحه بالدرجة الأولى. إضافة الى تضافر جهوده مع الداي بكداش وصهره أوزن حسن مما سهل مهمة تحرير وهران.

لم يتمكن الباي مصطفى بوشلاغم الحفاظ على هذا الانتصار طويلا، لأن الاسبان جهزوا حملة سنة 1732م استطاعوا من خلالها احتلال وهران والمرسى الكبير مرة أخرى بعد 24 سنة. وبالتالي كان نجاح مشروعه وتحقيقه للوحدة الترابية للجزائر مؤقتا.

[1] بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص 257.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 160.

الملاحق:

الملحق1: خريطة لوهران والمرسى الكبير.

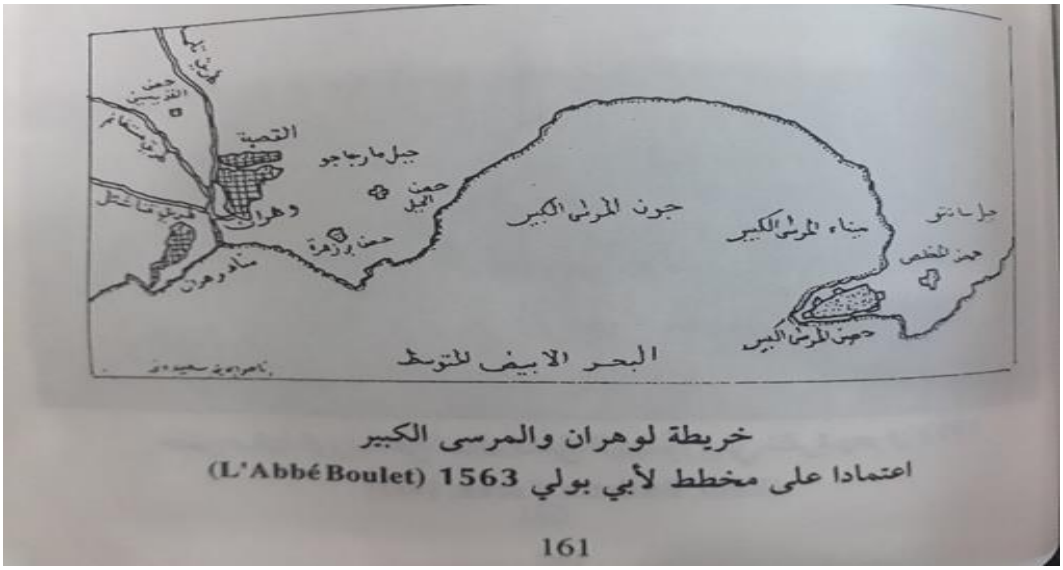

خريطة لوهران والمرسى الكبير
اعتمادا على مخطط لأبي بولي 1563 (L'Abbé Boulet)

161

ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 161.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح : المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

- بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

-برون جفري، تاريخ أوروبا الحديث، تر : على المرزوقي، دار الأهلية، الأردن، 2006.

- بوبكر محمد السعيد، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري/ السادس عشر ميلادي (1119-1206هـ/1708-1792م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، المركز الجامعي، غرداية، 2011/2010م.

- الجامعي، فتح مدينة وهران، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز العامة الرقمية بالرياض، رقم 4282. (نسخة منشورة الكترونيا).

- جلول مكي، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 الى 1263هـ/ 1234-1847م، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993.

- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومه، الجزائر، 2012.

- الطاهر تومي، علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع اسبانيا ما بين 1520-1792، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019/2018.

- عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر : محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989.

- كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014/2013.

- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- محمد غالم، "تحرير وهران في 27 فيفري 1792 : الرمز والحدث"، مجلة انسانيات، المجلد 22، العدد 79 جانفي 2018.

- محمد مختار زغار، "صالح رايس بطل الوحدة والجهاد 1552-1556"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 2، العدد 4، جويلية، 2020.

- مسلم بن عبد القادر الوهراني، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية، 1974.

-ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي في الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2003.

- يحي بوعزيز، لموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

باللغة الأجنبية:

- Berbrugger, "Reprise d'Oran par les espagnols en 1732". Revue Africaine, N8, 1864.
- HENRI-LÉON FEY. Histoire d'Oran, avant, pendant et Après la domination espagnole. Typographie adolphe perrier. Oran. 1858.
-SANDOVAL. "Les inscriptions d'Oran et de Mers-EL-Kabir ". Revue Africaine. N 16. 1872.
- Walsin Esterhazy, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, librairie de Charles Gosslin, Paris, 1840.